الأنساق الدلالية المضمرة
في سورة المطففين

The Implicit Semantic Patterns
in Surat Al-Mutaffifin

أ.م.د. إسماعيل عباس حسين

Asst. Prof. Dr. Ismail Abbas Hussein
ismail.alkaabi20@uomustansiriyah.edu.iq

قسم اللغة العربية/ كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

Department of Arabic Language/
College of Arts/ Al-Mustansiriya University

الملخص

تكشف الأنساق الدلالية المُضْمَرَة في سورة المطففين؛ اللثام عن الدلالة المضمرة خلف النص، والتي تتخفى وراء الرؤية النصية وجماليات التراكيب؛ ذلك لأنّ هذه السورة تحوي في ثناياها مجموعة متشابكة من الأبعاد الجدلية والأنساق المضمرة التي تتطلب بحثا يكشف العلاقة الدلالية بين ثنايا مستويات النص المضمرة وراء البنية اللغوية.

تعد هذه السورة من سور القرآن المهمة، كونها تقف على قضية سلبية التطفيف – وقفة طويلة، كما أن هذه السورة نزلت بحق من يغشون الكيل، والميزان، وتثبيت جزائهم في الدنيا، والآخرة، وكذلك الحال بالنسبة للأبرار، وقد احتوت هذه السورة غايات مضمرة متعددة الدلالات تتمحور على فكرة رئيسة قد تكون هذه الفكرة للوهلة الأولى نسقا معلنا يتجلى من أول آية في السورة، والمتمثل بتحقيق العدل، وقد تكون الدلالات الأخرى مضمرة في سياق النص، لذا نجد التضاد عنصراً مهماً وأساسياً في تحقيق فعالية النص القرآني المتمثل بصراع الخير والشر.

وعلاقة المتلقي مع النص تعطي مساحة للكشف عن نوعين من الدلالة هما الصريحة والمضمرة، إذ تزداد أهمية النص كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة المضمرة، وبهذا تكون الدلالة المضمرة وظيفة أساسية للغة.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على أربعة مباحث، بحسب المستويات اللغوية الأربعة (الصوت والصرف والنحو والدلالة) بغية الاحاطة بدقائق الموضوع، وجعل البحث كاشفا للأنساق المضمرة في هذه السورة المباركة.

وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج كان أهمها:

- ❖ صوّر حرف النون من خلال موسيقاه الهادئة الطقس الدلالي للسورة من خلال جمعه للمواقف السيئة التي حملها المطففون، والمواقف الإيجابية التي حملها الأبرار.
- ❖ ظهرت الشدّة الموجّهة إلى المطففين ممتزجة بصوت اللام الشديد، لأثبات بطلان معتقداتهم وفعلهم السيء، على خلاف ما يحصل عليه الأبرار في خاتمتهم.

الكلمات المفتاحية: الأنساق المضمرة، الدلالة، المطففين، الأبرار

Abstract

The implicit semantic patterns in Surah Al-Mutaffifin unveil the hidden meanings behind the text, which are concealed within the textual vision and the aesthetics of its structures. This is because the Surah encompasses a complex interplay of argumentative dimensions and implicit structures that necessitate an analysis to uncover the semantic relationships embedded within the different levels of the text beyond its linguistic structure.

This Surah is one of the important Surahs of the Qur'an, as it addresses the negative issue of cheating - a long pause this Surah was also revealed regarding those who cheat in measure and balance, and confirming their punishment in this world and the hereafter the same is the case for the righteous، this Surah contains multiple implicit meanings revolving around a central idea.

At first glance, this idea may appear as an explicit pattern manifesting from the very first verse—namely, the realization of justice. However, other meanings remain implicit within the context of the text. Consequently, contrast plays a crucial and fundamental role in enhancing the effectiveness of the Quranic text, as seen in the struggle between good and evil.

The reader's interaction with the text provides a space for revealing two types of meaning: explicit and implicit. The significance of the text increases as its ability to generate implicit meaning grows. Thus, implicit meaning becomes a fundamental function of language.

The nature of the research required dividing it into four sections, according to the four linguistic levels (sound, morphology, syntax, and semantics), in order to encompass the details of the subject and make the research reveal the implicit patterns in this blessed surah. The research reached several conclusions, the most important of which were:

- The letter "nun", through its soothing music, depicts the semantic atmosphere of the surah by combining the negative attitudes of the Mutaffifun with the positive attitudes of the righteous.
- The severity directed at the Mutaffifun is combined with the strong sound of the "lām" to prove the invalidity of their beliefs and evil actions, in contrast to what the righteous experience in their final moments.

Keywords: Implied Patterns, Significance, Al-Mutaffifin, the Righteous

المقدّمة

يهدف البحث إلى دراسة الأنساق الدلالية المُضْمَرَة في سورة المطففين؛ تلك الأنساق التي تكشف اللثام عن الدلالة المضمرة خلف النص، والتي تتخفى وراء الرؤية النصية وجماليات التراكيب؛ ذلك لأنّ هذه السورة تحوي في ثناياها مجموعة متشابكة من الأبعاد الجدلية والأنساق المضمرة التي تتطلب بحثا يكشف العلاقة الدلالية بين ثنايا مستويات النص المضمرة وراء البنية اللغوية، وقد احتوت هذه السورة غايات مضمرة متعددة الدلالات تتمحور على فكرة رئيسة قد تكون هذه الفكرة للوهلة الأولى نسقا معلنا يتجلى من أول آية في السورة، والمتمثل بتحقيق العدل، وقد تكون الدلالات الأخرى مضمرة في سياق النص، لذا نجد التضاد عنصراً مهماً وأساسياً في تحقيق فعالية النص القرآني المتمثل بصراع الخير والشر.

وعلاقة المتلقي مع النص تعطي مساحة للكشف عن نوعين من الدلالة هما الصريحة والمضمرة، إذ تزداد أهمية النص كلما ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة المضمرة، وبهذا تكون الدلالة المضمرة وظيفة أساسية للغة.

تجليات السورة:

تعد هذه السورة من سور القرآن المهمة، كونها تقف على قضية سلبية التطفيف – وقفة طويلة، كما أن هذه السورة نزلت بحق من يغشون الكيل، والميزان، وتثبيت جزائهم في الدنيا، والآخرة، وكذلك الحال بالنسبة للأبرار (الطبري، ٢٠٠١م، صفحة ٢٤/ ٢٧٧)، ومن أهم مميزات هذه السورة، هو:

١) إنها تقع في الجزء الثلاثين.
٢) ترتيبها في الجزء هو السادس.
٣) تسلسلها في القرآن الثالثة والثمانون.
٤) هي من السور المكية.

٥) فيها ست وثلاثون آية.
٦) فيها إحدى وعشرون آية خاصة بالمطففين، وخمس عشرة آية خاصة بالأبرار.
٧) فيها مفردات لم ترد في القرآن الكريم إلا بها، وهي: المطففون، سجين، مرقوم، الأبرار، عِلِّيُّونَ).

وافتتاح السورة باسم الويل مؤذن بأنها تشتمل على وعيد فلفظ (ويل) من براعة الاستهلال، فهذه الكلمة دعاء بسوء الحال، وهو في القرآن وعيد بالعقاب وتقريع، والويل: اسم وليس بمصدر لعدم وجود فعل له، والآية تؤذن بأن التطفيف كان متفشياً في المدينة في أول مدة الهجرة واختلاط المسلمين بالمنافقين يُسبب ذلك؛ فجملة (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) إدماج، مسوقة لكشف عادة ذميمة فيهم هي الحرص على توفير مقدار ما يبتاعونه بدون حق لهم فيه، والمقصود الجملة المعطوفة عليها وهي جملة: (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) فهم مذمومون بمجموع ضمن الجملتين (ابن عاشور، ١٩٨٤، صفحة ٣٠/ ١٨٧).

«المبحث الأول»

الأنساق الدلالية المضمرة في المستوى الصوتي

يشكل الصوت دعامة مهمة من دعامات تشكيل اللغة عموما، فهو اللبنة الرئيسة لولادة الحرف البنائي، كما أنه البؤرة المركزية في تكوين المفردة، والتي بتراكمها يتألف التركيب، ومن ثم يتأسس النص الذي بدوره يؤلف الفضاء الشامل لولادة الدلالة (سليم، ١٩٧٧، الصفحات ٤٤-٥٥).

وبذلك فالصوت هو البنية التي يقوم عليها محتوى النص، والنص معا، أو قل هو الأيقونة التي يتشضى على عتباتها الخطاب نفسه، والصوت القرآني عالم مستقل بذاته لا بكونه إعجازا منقطع النظير- كما هو معروف - فحسب، ولكن لأنه يكون عالما تطبيقيا واسعا من خلال القراءات القرآنية التي تتحقق فعليا عن طريق الأداء الصوتي (حسني، ١٩٩١، صفحة ١٦).

١) التشكلات الصوتية لحروف البناء في سورة المطففين

حرف البناء هو اللبنة التي تشيد البناء اللغوي، وتجعل صرحه عالياً - إن أحسن اقتناء الحرف ووضع موضعه المناسب - أو تجعل صرحه هارٍ - إن أسيء اقتناء الحرف ولم يوضع موضعه الملائم - لكنه في كل الأحوال حاضر، ولا يمكن إنشاء نص دون فضاء حرف البناء (د. نوتي، ١٩٩٩، صفحة ٢٧)، وعند جردنا حروف البناء في سورة المطففين وجدنا أن كل حروف البناء دخلت فيها، وأكثر تلك الحروف ظهورا هي:

أ) النون (ن): وقد ورد في السورة اثنتين وتسعين مرة.
ب) اللام (ل): وقد ورد في السورة خمسا وثمانين مرة.

ولكثرة وروود هذين الحرفين في السورة؛ اقتصرنا البحث عليهما.

أ) صوت النون:

وهو من الاصوات الذلقية، "لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفي ذلق اللسان" (الفراهيدي، ١٩٨٠، صفحة ١/ ٥٨)، ومن حروف الغنة الصافية، وقد ورد كثيرا في أسماء اللغة العربية وأفعالها وحروفها، كما ورد في النصوص (البابلية)، و(السومرية)، و(الفرعونية)، فقد كان في البابلية بمعنى (الخبز)، وفي السومرية بمعنى (النور) والفرعونية بمعنى (الشمس)، وقد ورد في النص الأصلي لـ(ملحمة كلكامش) بمعنى (الخلود)، وقد ورد في لغة (عاد). و(ثمود) بمعنى (الحوت)، وهذا المعنى وصل إلى اللغة العربية واستعمل كما كان (ذو النون) كناية للنبي يونس عليه السلام بمعنى صاحب الحوت، وقد ورد حرف النون في القرآن الكريم كأكثر حرف ورد فيه، فضلا عن كونه – أي النون – أحد الحروف المقطعة، كما دخل هذا الحرف في تركيب أسماء الكثير من السور القرآنية حيث بلغت السور التي دخل في عنوانها حرف النون في كتاب الله أربعا وثلاثين سورة، وسورة المطففين هي واحدة من السور المهمة التي دخل النون في عنوانها، وفي آياتها فلم تخل آية منه.

وحينما ننظر إلى قضية سيادة النون في كل آية من آيات السورة تتحول نظرتنا عنه في كتاب الله – ونحن البشر القاصرون – من مجرد حرف هجائي إلى منظومة لغوية كبرى تتحكم لا بعالم تراكيب النص فقط، وإنما تنطلق إلى تكوين دلالة كبرى تحمل عنوان السورة نظريا من ناحية، وسيرورة هذا العنوان داخل السورة عمليا من ناحية أخرى أيضا.

فالمطففون، وهويتهم، وجزاؤهم في الآخرة، وانعكاسات عملهم المشين على المجتمع كل ذلك فصّلته السورة بدقة فكانت الخطاب الأكبر للمتلقي، أما تشفيرة هذا الخطاب، وتوسع الوحدات اللغوية المجهرية فيه فقد تبناها صوت النون مشكلا نسقا ذات دلالة مضمرة يمكن تلمس ملامحها بتتبع ظهوره في السورة، وتوجد في سورة

المطففين تسع وستون ومائة كلمة، ورد حرف النون في أربع وأربعين كلمة، والكلمات النونية تنازليا بالشكل الآتي:

١) (إنّ) – المكسورة، والمفتوحة –: وردت ثماني مرات في السورة.
٢) (الذين): فقد ورد في السورة خمس مرات.
٣) (كان، ومشتقاتها): فقد وردت في السورة أربع مرات.
٤) (يوما، ومشتقاته)، و(المكذبون، ومشتقاته)، و(مِن) – بكسر الميم –: قد ورد كل من الألفاظ السابقة برصيد ثلاث مرات في السورة.
٥) (ويل)، و(الناس)، و(سجين)، و(كتابا)و (عليين)، و(ينظرون)، و(التنافس)، ومشتقاته، و(يضحكون)، و(آمنوا)، و(انقلبوا): حيث ورد كل لفظ من الألفاظ السابقة مرتين في السورة.
٦) (المطففون)، و(يستوفون)، و(وزنوهم)، و(يخسرون)، و(يظن)، و(مبعوثون)، و(العالمين)، و(الدين)، و(معتدٍ)، و(آياتنا)، و(الأولين)، و(ران)، و(يكسبون)، و(عن)، و(محجوبون)، و(المقربون)، و(نضرة)، و(النعيم)، و(يسقون)، و(رحيقا)، و(مسكا)، و(تسنيم)، و(عين)، و(المقربون)، و(يتغامزون)، و(فاكهون)، و(ضالون)، و(حافظون)، و(يفعلون) وقد ورد كل لفظ من الألفاظ السابقة مرة واحدة فقط في السورة.

وحينما نلقي نظرة على المعجم النوني في السورة سنجد أن رصيد (إنّ) – المكسورة، والمفتوحة – هو الذي شكل العدد الأكبر من المرات في ظهوره ومن المعروف أنّ هذا الحرف المشبه بالفعل يفيد التوكيد، والشدة على إقامة الحدث وهاتان الدلالتان تتناسبان مع طقس السورة المحذر من عادة التطفيف التي تتخصص بالغش في ميزان البيع فذلك جزاؤه النار بامتياز، ولهذا أوجب التشديد على ترك هذا الفعل، والتمسك بما أمر الله تعالى.

وجاءت مفردة (الذين) بالمرتبة الثانية بعد (أن) حيث أنّ الحديث لا يشمل من يغش، وإنما كل الناس للاتعاظ من هذا العمل، ولكي ترمي السورة إلى أكثر من ذلك - كما نرى، والله أعلم -، وهو النهي عن التلاعب، والغش في كل مرافق الحياة الإسلامية.

وقد لاحظنا أنّ (كان ومشتقاتها) لم تأت ناقصة في هذه السورة، وإنما تامة، وهذا يدل على أن خطاب السورة لم يكن خاصا بزمن نزول هذه السورة، وإنما ما بعدها أيضا حيث القيم القرآنية صالحة في كل زمان، ومكان لعلم القرآن أنّ هذه القيم التي طرحها في السورة ستتكرر مستقبلا كثيرا.

وقد جاءت النون مع المفردات النونية على نوعين رئيسين، وهما -تنازليا -:

١) النون الزائدة: وقد بلغت مساحتها في السورة ستا وأربعين مرة، وانقسمت هذه النون قسمين، وهما:
   ا) النون التي برأسها: وردت في السورة خمسا وثلاثين مرة.
   ب) نون التنوين: وردت في السورة إحدى عشرة مرة.
٢) النون الأصلية: وقد بلغت مساحتها في السورة ستا وثلاثين مرة، ونحن نعتقد - والله أعلم - أن زيادة رصيد النون الزائدة على الأصلية يحقق صورة (التطفيف) الذي ورد في السورة، والذي يعطي الصورة الشكلية له وهو الحصول على الربح الزائد غير الحلال من ناحية، ويعطي جوهر هذه الصفة التي تتنافى مع قيم الإسلام حيث نهى الإسلام عن هذه الصفة، إذن هي صفة زائدة على قيم الإسلام من ناحية أخرى.

أما أكثر الآيات التي ورد فيها حرف النون في السورة، فهي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾[المطففين: ٢٩] وفي هذا المقطع القرآني يصور الله تعالى حال المطففين الذي يستهزؤون من المؤمنين - بكناية الضحك - حينما يكسبوا الكسب الحلال المبروك، وإن كان بسيطا في حين هم يكسبون الكثير دون أن

يعيروا للحلال، والحرام أي اهتمام، وهنا لا نرى في النون مصورا لمشاهد المطففين وإنما هو يعرض سيّئهم هذا ليؤهل المتلقي الإسلامي للمشهد المعاكس الذي سيحظى به المؤمنون اتجاه المطففين يوم القيامة، ولعل هذا سبب من أسباب كثيرة جعلت المفردات النونية الأصلية تكثر في الآية – وهي: (إنّ)، و(كانوا)، و(مِن) و(آمنوا) – موازنة بالمفردات التي كانت النون فيها غير أصلية وهي (الذين) مرتين، و(يضحكون).

وقد برزت الدلالات التي تكتنفها السورة وهي تحمل على عاتقها أنساقا بنيوية واضحة بين المجرمين المتلاعبين بالميزان بصفتهم الباطلة، والمؤمنين بصفة الحق الذين يدعون إلى العدل، وقد كان للثنائيات الضدِّية المضمرة في السورة هدف وهو الارتفاع بالخطاب عن مستوى التصريح إلى مستوى الإيحاء إذ يحثُّ ذهن المتلقي على كشف الأبعاد الدلالية التي تثبتها الاشارات الصوتية المضمرة، فالنص القرآني اعتمد على المتضادات الملموسة، لإثبات وجود الثنائية المتضادة والمتصارعة (الخير ضد الشر) وهي من المتضادات المحسوسة، واختار لها بيئة واحدة هي اجتماعهما في الشخصية الانسانية (العبيدي، ١٩٩٣، صفحة ٤٠).

ب) صوت اللام:

وهو من الأصوات الذلقية أيضا (الفراهيدي، ١٩٨٠، صفحة ٥٨/١)، ومن الحروف التي تمثل اللسان عن طريق صورة تكوينه في الفم، حيث يرتطم اللسان بشدة في لثة الأسنان العليا الأمامية وقد ورد بكثرة حرفا مقطعا سواء عن طريق دخوله في تركيبة (الم)، أو (الر) أو (المص)، أو (المر)، فضلا عن مجيئه حرفا مركزيا في أكثر أدوات النفي، وهي: (لا، ولم، ولن، ولات، وليس)، كما دخل في تركيب أسماء الكثير من سور القرآن الكريم، والذي بلغ عشرين سورة، ولقد ورد في سورة المطففين خمسا وثمانين مرة، صورت لنا الألفاظ الذي ورد فيها بدقة صورة المطفف من خلال نفسه مرة، ومن خلال الناس الذين ينظرون إليه وهو بهذه الصفة ثانيا، وموقف الشرع منه عن طريق حكم الله عليه في الآخرة ثالثا، وهي صورة بشعة وسيئة، ومتهرئة خلقا، وخليقة من

خلال الشدة التي تؤلفها اللام في كثير من مفردات السورة، مثل: (ويل، والمطففين، والفجار، والمكذبون وأساطير الأولين، والجحيم... الخ).

كما رصدت موقف المؤمنين اتجاه تلك الفئة المنحرفة، وما كانت تعانيه في الدنيا لأجل إصلاحهم لكن دون جدوى فكانت مجموعة من المفردات اللامية قد صورت هؤلاء المؤمنين، مثل: (عليون، والأبرار، وعلى الأرائك ينظرون...الخ).

واللام في ذلك شكلت من دلالتها الصوتية دلالة مرئية بنيوية رصدت فيه حال المطففين، وغير المطففين في آن معا، أما مفردات معجم (اللام) فقد كانت تنازليا، بالشكل الآتي:

١) (الذي، ومشتقاته)، و(على، ومشتقاته): حيث كان رصيد كل واحد منها ست مرات.
٢) (كلا): حيث كان رصيده أربع مرات.
٣) (لفي)، و(قال، ومشتقاته): حيث كان رصيد كل واحد منهما ثلاث مرات.
٤) (ويل)، و(الكيل، ومشتقاته)، و(اليوم)، و(الأبرار)، و(عليون)، و(المقربون)، و(الأرائك)، و(المنافسة)، و(انقلبوا)، و(الكفار): حيث كان رصيد كل واحد منها مرتين.
٥) (المطففون)، و(ألا)، و(أولائك) و(الرب)، و(العالمين)، و(الفجار) و(المكذبون)، و(الا)، و(كل)، و(تتلى)، و(الأولون)، و(بل)، و(قلوب)، و(المحجوبون)، و(إلى)، و(أهل)، و(هؤلاء)، و(الضالون)، و(أرسلوا)، و(هل)، و(يفعلون): حيث كان رصيد كل واحد منها مرة واحدة فقط.

وقد مثل الرصيد الأول للام عنصر الإشارة المعنوية، وأهميتها في تقرير عمل كل من المؤيدين لصفة التطفيف، والمعارضين لها، فـ(الذي) ومشتقاته يؤكد الإشارة إلى المعنيين السابقين، أما (على) ففيه دلالة على الإشارة وأهميتها في تحديد العمل الصالح من الطالح.

أمّا (كلا) ففيها نصف نفي وليس نفيا كاملا - حيث أن النفي الكامل يكون كما معروف بـ(لا) (ابن هشام، ١٩٨٥، الصفحات ١/ ٢٥٣-٢٥٤)، والسبب - في رأينا - ينطلق من تقرير الرحمة الإلهية التي تجعل للمنحرف خط رجعة إلى الله دون أن يواجه العقاب مباشرة.

في حين أن (لفي) فيها تصوير التأكيد على الزمان، والمكان معا - كما نرى -، و(قال) مشتقاته يصور الحوار، وقيمه الفلسفية المهمة، ولقد جاء حرف اللام في هذه السورة على قسمين، وهما:

١) اللام الأصلي: وهو اللام الذي يكون من أصل الكلمة، وليس مضافا عليها وقد بلغ رصيده في السورة سبع وثلاثين مرة.
٢) اللام الزائد: وهو اللام الذي لا يكون من أصل الكلمة، وإنما مضاف عليها، وقد بلغ رصيده في السورة إحدى وثلاثين مرة.

ولعل ارتفاع رصيد اللام الأصلي على الزائد هو- في رأينا - لارتباط الشدة الصوتية التي يحققها اللام مع صفة التطفيف البذيئة، وتلاؤمها مع سوء جهنم المرتبطة بهؤلاء الذين يرفعون لواء التطفيف أما أكثر الآيات التي ورد فيها حرف اللام في السورة، فهي قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾[المطففين: ١٨] الشدة التي قد يحققها النفي هنا صارت عملة ذات وجهين، فمن جهة: هي نفي لما يدخر في خلد المطففين من أنهم - أي الأبرار - سيكون مصيرهم أسوء منهم - أي المطففين -، ومن جهة ثانية: فالنفي هنا قوة للأبرار في أنهم نالوا جزاء عملهم في الدنيا خير الجزاء، فصار (عليون) هنا في صورة بنيوية سيميائية معا، شكّلت دلالة مضمرة لكلا الطرفين المتضادين، فهو من العلو الذي لا يعلوه علو إلا الله تعالى، ومن باب هو صحيفة أعمال من كانت أعماله عالية المستوى عند الله مما يستحق أعالي الجنان. من جهة ثانية لك أن تتخيل حال المطففين، وبذلك فاللام هنا صار أداة مديح وتوبيخ في الوقت نفسه.

٢) التشكلات الصوتية للحركات في سورة المطففين

تمتاز اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأنها لا تكتفي بالحروف في إقامة فضائها فقط، وإنما هي محملة بإضافات تمثل بعض الحروف من جانب، وتعطى لكل حرف خصوصيته الدلالية داخل السياق النصي من جانب آخر أيضا.

وبقدر ما درس القدماء معاني أصوات حروف ألفاظهم وتوقفوا عند بعض نواحيها وعالجوا جماليتها، بقدر ما وقفوا عند معاني الحركات وعلاقتها بمعاني ألفاظها، ودورها في تحقيق هذا الجمال من جهة أخرى (هاشم، ٢٠١٠، صفحة العدد٣/ ١٢٣).

واصطلح على تسمية هذه الإضافات بالحركات التي ما أن تطلق أمامنا حتى يسارع الذهن بالحكم عليها بأنها حركات الإعراب التي يختص بها علم النحو، بيد أننا الآن أمام المستوى الصوتي للحركة، أي الحركة حينما تكون مطلقة عن حكومة العلم سواء أكان هذا العلم علم النحو، أو علم الصرف، وما يحدثه هذا الإطلاق من دلالة حينما يندرج في السياق النصي، بحيث تكون لكل حركة صفاتها الخاصة، التي قد تتباين قليلا أو كثيرا عن صفاتها قبل دخولها في الفضاء النصي، واشتراكها في تحديد شخصية الخطاب وشفرته من موقعها الخاص، وهي تعانق الحرف البنائي، فضلا عن طبيعة الخطاب المجازي الذي يحول هوية دلالة الحركة من وضعها المعهود إلى وضع آخر اصطلح في كثير من الأحيان تسميته بالضرورة الشعرية.

وكتاب الله كما معروف عالم مستقل بذاته في كل شيء، ومن ضمن ذلك الدلالة الصوتية للحركة التي أخرجت أحيانا النص من وضعه المتوقع إلى وضع جديد، وفكر حديث، وسورة المطففين هي واحدة من السور القرآنية التي زخرت بمستوى مهم من الحركات، ودلالاتها الصوتية المتنوعة.

ويرى ابن جني "أن الحركات أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة

والضمة فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو" (ابن جني، ٢٠٠٠، صفحة ١/ ١٧). وهذه الحركات تختلف من حيث الخفة والثقل، وفكرة الخفة والثقل هي التي اعتمدها علماء اللغة والنحاة من أسس التعليل لكثير من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية، والتي استندوا عليها في التكلم عن دلالات الحركات في ألفاظها (هاشم، ٢٠١٠، صفحة 126).

وأن هذه الحركات تحدث وتتحدد أنواع الحركات، بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك، أو حركة مؤخرة اللسان نحو سقف الحنك كذلك، فإن كان اللسان مستويا في قاع الفم، مع انحراف قليل في أقصاه نحو أقصى الحنك، وتركت الهواء ينطلق من الرئتين، ويهز الأوتار الصوتية وهو مار بها، نتج عن ذلك صوت الفتحة "a" فإذا تركت مقدمة اللسان تصعد نحو وسط الحنك الأعلى بحيث يكون الفراغ بينهما كافيا لمرور الهواء، دون أن يحدث في مروره بهذا الوضع أي نحو من الاحتكاك والحفيف، وجعلت الأوتار الصوتية تهتز مع ذلك، نتج صوت الكسرة الخالصة.. أما إذا ارتفع أقصى اللسان نحو سقف الحنك، بحيث لا يحدث للهواء المار بهذه المنطقة، أي نوع من الحفيف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فإن الصوت الذي ينتج عن ذلك هو صوت الضمة الخالصة: "u".. ولا شك أن الشفتين لهما أثر في إحداث كل حركة من هذه الحركات جميعها، لا يمكن إغفاله، فهما منفرجتان مع بعض هذه الحركات، ومستديرتان مع بعضها الآخر. وتختلف درجة الانفراج والاستدارة في صوت عن الآخر (عبد التواب، ١٩٩٧، الصفحات ٩٢-٩٣).

وتسلسل القوة الحركية للحركات، هو:

١) الكسرة: وهي أثقل الحركات، وأقواها.
٢) الضمة: وهي متوسطة الثقل.
٣) الفتحة: وهي أخف الحركات.
٤) السكون: وهي اللاحركة لكن تحقيقها دلالات معينة جعلها من الحركات.

أما التسلسل التنازلي لحركات سورة المطففين، فهو:

١) السكون: وقد ذكرت هذه الحركة في السورة تسعين ومائتي مرة.
٢) الفتحة: وقد ذكرت هذه الحركة في السورة ثلاثا وخمسين ومائتي مرة.
٣) الكسرة: وقد ذكرت هذه الحركة في السورة ست عشر ومنة مرة.
٤) الضمة: وقد ذكرت هذه الحركة في السورة تسعا وتسعين مرة.

والآن سندرس صوتيا كل حركة من الحركات السابقة من خلال سورة المطففين.

١) السكون: من اللغويين من عدّها ليست بالحركة حيث أن صورتها الصوتية التوقف والتوقف عكس الحركة، وبعضهم الآخر عدها حركة انطلاقا من كونها تحدث الجزم، وكلمة (الجَزْم) معناها القطع أي انقطاع الحركة، وانقطاع الحركة هو السكون بعينه.. فالسكون هو منع وسلب الحركة عن الحرف، وهي في حقيقتها تخفف – كما نرى – من استمرارية الحركية في النص وتريح النفس.

فضلا عن كون السكون عكس السكوت، فالأول توقف بعد حركة ثم معاودة الحركة، أما الثاني فتوقف مفاجيء يعطيه خلود اللاحركة. وربما هذا هو السبب الذي جعل المتكلم يقول عن الميت سكت عنده الكلام، في حين يقال لمن تعالج من الألم سكن فيه الألم، فالسكوت يرتبط فلسفيا بالموت، والسكون يرتبط فلسفيا بالحياة، والمفردات التي احتضنت السكون في هذه السورة المباركةهي: (الذي ومشتقاته)، و(إذا)، و(على ومشتقاتها)، و(الناس)، و(إنّ ومشتقاتها)، و(كان ومشتقاتها)، و(آمنوا) و(يضحكون) و(قال، ومشتقاته)، و(كلا)، و(ربّ ومشتقاته) و(اليوم ومشتقاته)، و(الكفار) و(كتاب)، و(في)، و(سجين)، و(ثم)، و(به ومشتقاته)، و(الكذب ومشتقاته)، و(الأبرار)، و(عليين)، و(المنافسة).

حقق السكون هنا قضيتين رئيستين، وهما:

١) إستيعاب عالم السورة بمستوياته الإنسانية كافة – مثل: الذي، وعلى، والناس، والأبرار.
٢) دعا ذلك العالم إلى تحقيق التأمل – الذي يتناسب مع الجانب النفسي للسكون– ، والتأمل يقود إلى الإنتاج، والإبداع، والتقدم في كل شيء عن طريق، مثلا: قال، وكتاب، والمنافسة.

أمّا أكثر الآيات التي ادخرت السكون، فهي، في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾[المطففين: ٢]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ**﴾[المطففين: ٢٩]، وفي هاتين الآيتين يحقق السكون تصوير حال المطففين من ناحية هويتهم الإقتصادية، وهويتهم الإجتماعية، وبين الهويتين تولد هوية أخرى هي الهوية الدينية التي تقرر إرتباط المطففين بالكفر، والعصيان، والابتعاد عن الطريق الإلهي القويم، وفي الوقت نفسه تشفر هاتين الآيتين إلى المؤمنين الذين يعكسوا هذه الصفات فيكونوا على الطريق الإلهي القويم، والصالح.

وقد استطاع النصان السابقان تحقيق السكون في الكثير من مفرداتهما عن طريق حروف المد: ففي النص الأول تحقق المد عن طريق: (الذين– الياء)، و(إذا – الألف)، و(اكتالوا – الألف)، و(على – الألف)، و(الناس – الألف)، و(يستوفون – الواو مرتين)، و(الذين – الياء)، و(أجرموا – الواو)، و(كانوا – الواو)، و(الذين – الياء)، و(آمنوا – الألف والواو)، و(يضحكون– الواو).

ومن الملاحظ أن المد في الواو كان الأكثر، تلاه الألف، ومن ثم الياء، وهذا يفيد أن النص يميل إلى المد المتوسط الذي يجمع بين ثقل الياء، وخفة الألف، مما يجعل السكون قادرا على التأمل الفلسفي، والتأويل في آن معا.

٢) الفتحة: من الحركات المهمة في اللغة العربية كونها أخفها صوتا، ومثيلة الألف – الخفيف في المد، وهي بصفاتها تلك من أكثر الحركات ورودا في الكلم العربي (د. حسني، ٢٠٠٩، الصفحات ٥٥-٥٦)، فضلا عن كثرة ورودها في علامات الأعراب فبابها الرئيس هو النصب، وهو باب واسع لكثرة الكلم المنصوب، فضلا عن ورودها – كما هو معروف – حركة للجر في موضوع (الممنوع من الصرف)، وقد وردت هذه الحركة كثيرا في كتاب الله، كما وردت بغزارة في السورة التي نحن بصدد دراستها – المطففين – وقد ذكرت هذه الحركة في السورة ثلاثا وخمسين ومئتي مرة.

٣) التشكلات الصوتية للتكرار في سورة المطففين

يعرف التكرار بـ: تردد المفردة، أو التركيب، أو النص أكثر من مرة شكلا، ودلالة، وقيل هو: مجيء أبعاض النص، أو النص مرات عدة: صورة، ومعنى، ولعل هذا التكرار يوقع صوتا يؤثّر في طبيعة الخطاب عموما.

وقد ورد هذا الاسلوب بكثرة في القرآن الكريم (د.حامد، ٢٠٠٨، الصفحات ٢٢-٢٣)، وكذلك ورد في سورة المطففين، ومن خلال متابعة وروده في السورة نجده كان متنوعا، فنلحظ التكرار بين آية وآية، أو نجد التكرار داخل الآية الواحدة، مما يوفر إيقاعا خارجيا عن طريق ترابط الآيات مع بعضها بعضا، وإيقاعا داخليا ضمن الآية الواحدة فقط.

وإذا كان ما سبق هو الدلالة الموسيقية للتكرار فإن الدلالة الفلسفية له تتعلق في أن السورة تحاول أن ترسم صورة سيئة للمطففين، ومن ثمّ هي تحذير مكرر للمتلقي القرآني في كل زمان ومكان، وفي الوقت نفسه تؤكد على نظرية الأبرار كنظرية اقتداء للمتلقي القرآني.

أما المفردات التي تكررت في السورة، فهي:

(إنّ، ومشتقاتها)، و(إذا)، و(على، ومشتقاتها)، و(يوم، ومشتقاته)، و(في، ومشتقاتها)، و(الذي، ومشتقاته)، و(كلا)، و(ما الاستفهامية)، و(الكذب، ومشتقاته)، و(به، ومشتقاته)، و(كان، ومشتقاته)، و(من) - بكسر الميم، وتسكين النون)، و(كتاب)، و(كل)، و(قال، ومشتقاته)، و(ويل)، و(الكيل، ومشتقاته)، و(الناس)، و(رب، ومشتقاته)، و(سجين)، و(أدراك)، و(مرقوم)، و(ما الموصولة)، و(عليين)، و(ثم)، و(الأبرار)، و(المقربون)، و(نعيم، ومشتقاته)، و(الأرائك)، و(ينظرون)، ومختوم)، و(ما النافية)، و(آمنوا)، و(يضحكون)، و(انقلبوا)، و(الكفار).

حينما نتأمل المفردات السابقة سنجد أن هذه المفردات امتازت بكون أكثرها أدوات، وهذه الأدوات تقوي في الغالب من دلالة النص، بمعنى تعطيه دفعا فكريا متقدما بحيث لا يكون محصورا في حيز الدلالة المعجمية وإنما ينطلق في الفضاءات العميقة للدلالة السياقية التي تحول النص إلى حقل دلالي مستقل بذاته.

فقد كانت (إنّ، ومشتقاتها) - التي كانت رأس قائمة المفردات المكررة في السورة - وترا موسيقيا رنانا من خلال النون الغنية الصافية. وتشديدها الذي ينوط البعد النغمي ويعطيه الصدى الدلالي لظلال الإيقاع، ويستمر صدى الدلالة الموسيقية لهذه الأداة في كل المفردات التي احتضنت النون، وهي كل من: (كان ومشتقاتها)، و(من)، و(الناس)، و(سجين)، و(عليين)، و(المقربون)، و(نعيم، ومشتقاته)، و(ينظرون)، و(آمنوا)، و(يضحكون)، و(انقلبوا)، ولو جئنا الى أكثر الآيات التي ورد في باطنها التكرار؛ لوجدنا الآيات الآتية:

- قال تعالى: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾[المطففين: ٢٦].
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آَمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ [المطففين: ٢٩].
- وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾[المطففين: ٣١].

في هذه الآيات الكريمات جمع التكرار في بنيوية صوتية بين القيم الإيجابية التي يعتنقها الأبرار، والقيم السلبية التي يعتنقها المطففون، ليتضح من هذا العرض التوضيحي بشكل غير مباشر من يرتبط بعقيدته مع السماء، ومن يرتبط بها مع الشيطان، ليحقق بعد ذلك العدل بأن يتماهى ضحك المطففين الوهمي دنيويا على الأبرار إلى ضحك طبيعي واقعي من قبل الأبرار على المطففين يوم القيامة.

ومن جانب آخر حقق لنا اللفظ المكرر في تلكم الآيات صورا مرئية حية من خلال ما يأتي:

١) في الآية الأولى حقق التكرار في كل من (يتنافس)، و(المتنافسون) صورة السباق لنيل النتيجة، وطبيعة هذه النتيجة بين الحقيقة - الأبرار -، والوهم - المطففين -.
٢) بدت مفردة (الذين) التي تكررت في الآية الثانية سيمياء إشارية لمن هو أحق بالخلود القيمي من غيره: (المطففين)، أم (الأبرار)؟!!!.
٣) الإنقلاب المكرر في الآية الأخيرة بدا كأنه وبال على أصحابه أكثر من كونه فرحة.

٤) التشكلات الصوتية للفاصلة القرآنية

الفاصلة: نعني بها تلك الكلمة التي تختم بها الآية من القرآن (بدوي، ٢٠٠٥، صفحة ٧٥)، فهي الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية، أو هي نهاية الآية القرآنية، والتي تحقق عادة مع الفواصل الأخرى دلالة السورة القرآنية، ومن الفواصل ماكان طويل الكلمة، ومنها ماهو قصير الكلمة، وقد تكتفي السورة بصيغة فاصلة معينة، وقد تتنوع الفواصل في داخل السورة الواحدة.

وسورة المطففين هي واحدة من السور القرآنية التي حضيت بفواصلها الخاصة، وسوف نبحث فواصل هذه السورة بكل الصور التي من الممكن أن تُبحث فيها الفاصلة، ولذلك سيكون بحثنا وفق القضايا الآتية:

١) الدراسة الصوتية للفاصلة:

وعند دراسة الحروف التي دخلت بالفاصلة، وعلاقتها مع الفواصل الأخرى، ومن ثم علاقتها بسجع الفاصلة، لوجدنا الصورة الآتية:

١) (الياء): فقد بلغ رصيده في السورة ستا وعشرين مرة
٢) (الواو): فقد بلغ رصيده في السورة اثنتين وعشرين مرة.
٣) (النون): فقد بلغ رصيده في السورة تسع عشرة مرة.
٤) (الميم): فقد بلغ رصيده في السورة ثلاث عشرة مرة.

حينما نتأمل تلك الحروف سنجد قصب السبق لحرف الياء، تلاه حرف الواو، وهذا يدل على أن لبنات بناء الفاصلة في سورة المطففين ارتكزت بشكل رئيس على المد الثقيل جدا – الياء –والمتوسط الثقل – الواو – في الوقت نفسه (سيبويه، الكتاب، ١٩٨٨، صفحة ٤/ ١٧٦، و٤٣٥)، وهذا يعني أن إنطلاقة الفاصلة في فضاء تلقي هذه السورة كان وئيدا، وهذه الوآدة – في رأينا – هي التي جعلت السورة هذه أهلا للتأمل من قبل متلقيها الإسلامي لما تحويه من عبر، ومواعظ كبيرة.

من جهة أخرى صورت الياء مشهدا صوتيا يشابه صوت الريح العاصف التي تهب على مكان معين وذلك يتناسب مع طبيعة بشاعة عمل المطففين، في حين كان الواو تصويرا لشكل الشفة المدورة التي يحققها الإنسان، وهو في حالة خوف أو تعجب، وذلك تصوير لحال المطففين – ربما – يوم القيامة حينما يواجهون مباشرة العذاب الشديد جزاء عملهم المشين في الدنيا.

من ذلك نرى أن أصوات الغنة العربية هي التي التزمت سجعات فواصل سورة المطففين، وقد حققت هذه الحروف صورة المطففين، والأبرار في أن معا في السلب، والإيجاب، ولعل تقدم النون على الميم فيه دلالة على ميل الدلالة الصوتية في السورة إلى الإيقاع الهادىء الرتيب، وليس الثقيل، فضلا عن أن أغلب السجعات الميمية هي ميم في الظاهر أما صوتا فهي نون.

وتواشجت النون السجعية مع النون الحرفية - التي هي أكثر حرف ورد في السورة من خلال دخول النون في حروف من ألفاظ أكثر الآيات التي ألفت سورة المطففين.

٢) الدراسة المعجمية للفاصلة:

ونقصد بهذه الدراسة هو رصد أنواع المفردات التي شكلت الفاصلة، ودلالاتها المختلفة

وحينما جردنا المفردات التي أقامت الفاصلة، وجدناها في الشكل الآتي:

الفاصلة في سورة المطففين بلا تكرار تسع وعشرون مفردة، وهي تنازليا بالشكل الآتي:

١) إحدى وعشرون فاصلة اسمية.
٢) ثماني فواصل فعلية.

ولما كان الاسم يدل على الثبوت، والفعل يدل على الحركة، كانت فواصل السورة ثابتة دلاليا من خلال إستمرارية فعل المطففين في كل زمان ومكان، واستمرارية فعل الأبرار كذلك.

وحينما نأتي على الفواصل الاسمية التي تكررت نجد الصورة الآتية: (سجين – مرقوم – عليين – المقربون – النعيم) والمفردات السابقة ترتبط ارتباطا كبيرا بالمطففين مما أعطت الفاصلة هنا صورة شاملة للسورة وبمفردات قليلة، فضلا عن أن المفردات

الثلاث الأولى لم يردن إلا في هذه السورة مما تعد معجما خاصا لفواصل هذه السورة (عبد الباقي، ٢٠٠٢، صفحة ٣٢٤، و٣٨٤و ٣٤٥).

وحينما نأتي إلى الفواصل الفعلية التي تكررت في السورة، سنجد اثنتين فقط، وهما: (ينظرون - يضحكون) وتكرار هذه الفواصل هي صورة بنيوية بين المطففين، والأبرار، ففي الوقت الذي كانت نظرات، وضحكات المطففين المستهزئة بالأبرار في الدنيا، كانت الصورة نفسها من الأبرار تجاه المطففين في يوم القيامة.

«المبحث الثاني»

الأنساق الدلالية المضمرة في المستوى التركيبي

يشكل التركيب في المنظومة اللغوية المرتكز الدلالي، وقلب منظومتها التي تشكل عماد الفكر وفلسفته، فهو نتاج الفضاء الدلالي بدءا بالحرف البنائي وانطلاقا الى المفردة، كما أنه أول النص، ووسطه، وخاتمته، وهو روح العملية الابداعية وخطابها النابض.

١) الأنساق التركيبية النحوية المضمرة في أقسام الكلم:

أ) **الاسم**: وهو اللفظ الدال على معنى، وليس له زمن محدد، وقد ورد الاسم في سورة المطففين مائة وثلاثين مرة، ومن خلال ارتفاع رصيد الاسم في كلم هذه السورة نستنتج أن الصورة تميل إلى الثبات، وعدم الارتباط بزمن معين، وإذا كانت هذه صفة القرآن الكريم عموما فإن الخصوصية المستخلصة من هذه السورة هو أن قيم الغش والتلاعب التي يجسدها (المطففون) تنعكس على كل غش، وتلاعب في كونهما صفات يذمها الإسلام، ويؤيد عكسها، والتي جسدها هنا الأبرار أنفسهم، ولو جئنا على أنواع الاسم الذي شكل هذه السورة سنجده تنازليا بالشكل الآتي:

١) الاسم المبني: وقد وصل رصيده إلى تسعة وستين اسما.
٢) الاسم المعرب: وقد وصل رصيده إلى إحدى وستين اسما.

ولعل ارتفاع حصة الاسم المبني على المعرب يدل - في رأينا - إلى أن الاسم غير المباشر هو السائد بمعنى أن السورة إذا تمتلك وعظا، وإرشادا للمتلقي الاسلامي عموما في كل زمان، ومكان فهي لا تحدد المعني من ناحية الحفاظ على مشاعره، وكرامته، فضلا عن أن عدم التحديد أعم من التحديد فهو زمنيا ومكانيا غير محدد فهو يشمل كل زمان ومكان، كما إن عدم ذكر الاسم صراحة يشمل الكل في النصيحة

وليس أشخاصا معينين، فضلا عن أن التعميم يحقق الروح الإسلامية التي فوق الإقليمية، والقومية، والطائفية، وغيرها من الرؤى الضيقة.

ب) **الحرف**: وهو اللفظ الذي يحمل بعض المعنى، ولا يدل على زمن معين، وإنما سميت حروف المعاني لأنها توصل معاني الأفعال إلي الأسماء (المرادي، ١٩٩٢، صفحة ٢٣)، لقد عني النحويون والمفسرون على حد سواء بحروف المعاني، غير أن النحاة، يكتفون في عنايتهم بسردها وبيان نوعها وعملها وأثرها الإعرابي، أما المفسرون فيعنون بتوظيف هذه الحروف وبيان أثرها في المعنى والدلالة (عبد الرحيم، ٢٠١٩، صفحة ٣٩٠).

وقد ورد الحرف في هذه السورة مائة واثنين مرة، ومجيء رصيد الحرف بعد الاسم هنا – في رأينا – هو كون الحرف أداة ربط مهمة، فهو حلقة الوصل التي توصل الاسم – الذي يدل على الثبات الذي ورد قبله رصيدا –، بالفعل – الذي يدل على التغير والحركة، والذي جاء بعده رصيدا –، ومن الأمور المهمة التي يتمتع به هذا النوع من الكلم هو الصلة، أو الرابطة، بمعنى أنه من أهم صور الكلم التي تشخص الوحدة العضوية، والموضوعية للنص.

وحينما جردنا حروف هذه السورة، وجدناها بالشكل الآتي:

١) حروف الجر: وقد تكررت في هذه السورة ستا وعشرين مرة.
٢) حروف العطف: وقد تكررت في هذه السورة أربع عشرة مرة.
٣) حروف الزيادة: وقد تكررت في هذه السورة سبع مرات.
٤) حروف النفي: وقد تكررت في هذه السورة خمس مرات.
٥) حروف أخرى: وتشمل هذه الفقرة ثلاثة أنواع من الحروف، وهي: (حروف الاستفتاح- جروف الإستثناء- حروف الاستفهام)، حيث وردت هذه الحروف مرة واحدة لكل نوع.

وقد برز حرف الجر (على) بوصفه أكثر حرف ورد في السورة (ست مرات)، ذلك لدلالته على الارتفاع والعلو، وهذه الدلالة تتناسب مع ارتفاع مكانة الأبرار لإيجابية عملهم من جهة، وتعالي المطففين سلبيا في الحياة الدنيا من جهة ثانية.

ج) **الفعل**: وهو اللفظ الدال على معنى، وله زمن محدد، اختلف النحاة في وضع مفهوم محدد للفعل وأقسامه منذ وضع قواعد اللغة العربية. لكن أقدم تعريف للفعل وصل إلينا هو تعريف سيبويه، حيث يقول: "وأما الفعل فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن ولم ينقطع" (سيبويه، الكتاب، ١٩٨٨، صفحة ١/ ١٢).

فالفعل باعتبار زمان الوقوع على ثلاثة أقسام عند سيبويه، وهي الماضي، والمضارع والحال. وبعده يقول الزجاجي: "الفعل ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل، نحو: قام ويقوم، قعد ويقعد وما أشبه ذلك" (الزجاجي، ١٩٨٦، صفحة ٥٢). فالزجاجي قسم الفعل باعتبار الزمان إلى قسمين: الماضي والمستقبل. وعرفه ابن هشام بأنه "ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة" (ابن هشام، شرح شذور الذهب، ٢٠٠١، صفحة ٢٤). فيرى ابن هشام الأقسام الثلاثة للفعل بحسب زمانه مثل سيبويه. ويقول ابن يعيش: " لما كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الأفعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان، ولما كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل، وذلك من قبل أن الأزمنة حركات الفلك، فمنها حركة مضت، ومنها حركة لم تأت بعد، ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك ماض ومستقبل وحاضر (ابن يعيش، ٢٠٠١، صفحة ٢/ ١٤).

وقد ورد الفعل في هذه السورة ثلاثا وأربعين مرة، ومجيء الفعل في نهاية القائمة – في رأينا – هو لأن الفعل يدل على الحركة وعدم الثبات وهذا نادر في هذه السورة التي اتسمت بالثبات، وعدم الحركة، وفي العادة يقسم الفعل شكلا على ثلاثة أقسام، وهي:

(الفعل الماضي – الفعل المضارع – الفعل الأمر). بيد أن واقع الفعل يشير إلى أن الفعل هو على قسمين، وهما:

١) الفعل الماضي: المختص بالزمن الماضي.
٢) الفعل المضارع: المختص بزمن الحاضر، والمستقبل.

أما الأمر – حيث أنه يدل على الزمن الحاضر – فهو جزء من المضارع، ولعل هذا هو سبب من أسباب كثيرة جعل رب العزة لا يأتي بالأمر في هذه السورة كون القرآن يتعامل – في رأينا – مع الواقع الملموس، وليس الواقع الإفتراضي.

ولعل ترابط الزمن الماضي مع الحاضر والمستقبل في ثيمة هذه السورة هو الذي جعل الماضي يبدو بصيغة الحاضر والمستقبل مع تبنيه للزمن الماضي، والمضارع متساو في هذه السورة.

أما أنواع الفعل الماضي التام التي دخلت إلى هذه السورة، فهي:

أ) الفعل المبني للمعلوم: وقد وصل رصيده إلى سبعة عشر فعلا.
ب) الفعل المبني للمجهول: فقد ورد مرتين في السورة فقط.

وهذا يدل على أن السورة مالت إلى المباشرة، والتصريح، وإظهار ما في القلب لأن في ذلك روح الإسلام.

٢) الأنساق المضمرة لأسلوب الإستفهام:

الإستفهام من الموضوعات المهمة في كل المعارف كونه ينطلق من السؤال نفسه إلى معالم شاسعة من الفضاءات الفكرية، ومنظوماتها المنطقية، فالفلسفة التي هي أم العلوم تنطلق في تقرير قاعدة مباحثها من نظرية الإستفهام، ثم تنمو لتشمل العالم كله، وكذلك الكثير من العلوم.

أما النظام النحوي للغة فإنه يجعل هذا الموضوع قادرا على القيام بوظيفته خير قيام إبتداءً بتقرير أنواعه، ونهاية في تحديد إعرابه داخل التكوين التركيبي الداخل به. والاستفهام هو طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في الذهن ما لم يكن حاصلا عنده مما سأله عنه (السيوطي، ١٩٨٥، صفحة ٤٣)، وورد الإستفهام في كتاب الله تعالى ليكون آلة تحريك الإيمان، وإقامته في نفس المشكك، والمعاند بحقيقة الإسلام الحنيف، وسورة المطففين واحدة من السور القرآنية التي أقامت هذا الموضوع وأدلجت دلالاته الظاهرة، والخفية في أن معا، وانقسم الإستفهام في هذه السورة على قسمين كبيرين، وهما:

❖ **الإستفهام الاسمي**: وهو أن تكون ثمة أسماء مبنية تفيد معنى الإستفهام، وأهم هذه الاسماء:

أ) مَن: وهي التي تفيد السؤال عن العاقل.
ب) ما: وهي التي تفيد السؤال عن غير العاقل.
ج) متى: وهي التي تفيد السؤال عن الزمان.
د) أين: وهي التي تفيد السؤال عن المكان.
ه) كيف: وهي التي تفيد السؤال عن الحال.

وحينما جردنا هذا النوع من الإستفهام في السورة وجدنا أن الإستفهام الاسمي الذي غلب فيها هو (ما) حيث وردت في السورة أربع مرات، وهذه الأداة اسم مبهم، يستفهم بها عن كل ما لايعقل من حيوان، أو نبات أو جماد أو غيرها، وعن صفات مايعقل (سيبويه، الكتاب، ١٩٨٨، صفحة ٤/ ٢٢٨).

يتميّز هذا الأسلوب بغزارة في الشحنة الانفعالية وتلوين الصوت، لما في تنغيمه من خصوصية، وهو لون من الألوان الأسلوبية التي تكثر في الكلام وتتنوع كثيرا بتنوع المواقف، لإثارته الانفعال وتحريك النفس (لاشين، ١٩٧٧، صفحة ١٧٧).

❖ قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[المطففين: ٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[المطففين: ١٩]، في الآيتين عرض لمصير كل من المطففين – الآية الأولى –، ومصير الأبرار في يوم القيامة، في الآية الثانية، فالعرض كان بتكرار اسم الإستفهام (ما) الذي هو أساسا لغير العاقل بيد أنه إذ ارتبط بزمرتين مهمتين كالمطففين، والأبرار فقد تماهى إلى دلالة العاقل – من –، فصار الخطاب بين بعدين إنسانيين تحديدا، وبعد أن كان تركيب (ما) يجمع بين حرفين – الميم، والألف – ليس من مخرج واحد صارت الدلالة تجمع بين حرفين من مخرج واحد – الميم، والنون –كما نرى–، كذلك فـ (ما) إن كان فيها فضاء شكلي لمفردتي (مطففون)، و(أبرار) من خلال حضور (ميم) (مطففين) في تركيب (ما)، وحضور (ألف) (أبرار) في التركيب نفسه فإن جزاء من يحمل مفردة (أبرار) – الجنة – حضر في (من)، في حين ظل شكل مفردة (مطففين) قابعا في (من) أيضا، وحينما كان لكل طرف جزاؤه يوم القيامة فقد اشترك كلا من (المطففين)، و(الأبرار) في (نون) (من) حينما كان هذا الحرف يدخل في جزاء (المطففين) (النار، أو جهنم)، وجزاء (الأبرار)) الجنة، أو النعيم) يوم الحساب.

ومن ناحية أخرى تبدو (ما) التي سبقت (أدراك) – مع كونها إستفهاما تعجبيا، إذ إن الله يصور لمتلقي الخطاب القرآني عظمة جزاء كلا من (المطففين)، و(الأبرار)، كما تبدو (ما) المكررة هنا مع (ما سجين) و(ما عليون) صدى صوت الجزاء أو النتيجة التي سيحوزها كل طرف من الطرفين السابقين، حيث أن (ميم) (ما) بدا كفم مفتوح – من تعجب الموقف، أو الإستغاثة –، في حين أن (ألف) (ما) ظهر مدا للتعجب، أو الإستغاثة عند (المطففين)، في الوقت الذي بدا(ميم– ما) كفم مفتوح للفرح، وشدة السعادة، وبدا (ألف– ما) مدا لهذه السعادة.

❖ **الإستفهام الحرفي**: هو السؤال الذي يكون أما بـ(همزة)، أو (هل)، ويكون الجواب عن أي منهما بـ(نعم)، أو (لا)، والذي ورد في هذه السورة (هل)، في قوله تعالى: ﴿**هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾[المطففين: ٣٦]. في هذه الآية انفتاح لفضاء الإستفهام فبدلا أن يكون السؤال جملة تختم نفسها بنفسها توسعت لتشمل كل حقول دلالاتها التي يؤولها المتلقي أو تقع في ميدان تخييله، والذي يعمق من هذا الزعم هو: أن الآية المذكورة هي الآية الأخيرة في سورة المطففين، وعلى ذلك ستكون السورة غير مغلقة بهذه الآية، وإنما هي بداية النهاية- إن صح التعبير-.

ولعل الشيء نفسه يرد مع آية أخرى في بداية السورة تعكزت في إستفهامها على حرف الاستفتاح والتنبيه (ألا)، وذلك في قوله تعالى: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾[المطففين: ٤]، لقد سحب الإستفهام في جوابه هنا مجموعة من الخطابات التي تلت هذه الآية حتى تبدو معها السورة، وكأنها بمجموعها جوابا عن هذا الإستفهام.

٣) الأنساق المضمرة لأسلوب الشرط:

يُعد أسلوب الشرط من الموضوعات المهمة في الخطاب التركيبي النحوي إذ إنه يحمل أكثر من فضاء دلالي نحوي في تشكيله من خلال ما يأتي:

١) هو جملتان فعليتان أساسا.
٢) يضم في باطنه إستفهاما مرتبطا بعلل تنفيذ المطلوب.
٣) يحتمل فعلاه دلالات فلسفية عميقة بحيث يستبدلان أحيانا باسماء.
٤) يتعلق دائما بالمستقبل.

وقد ورد هذا الأسلوب بكثرة في القرآن الكريم، وظهر في سورة المطففين ست مرات.

أما الأدوات الشرطية التي ظهرت في السورة هي الأداة (إذا) فقط، ومن الأمور المعروفة أن هذه الأداة غير عاملة، كما أن فيها معنى الظرفية الزمانية.

أما أفعال الشرط، والجواب فكانت تنازليا بالشكل الآتي:

١)(فعل شرط ماض + جواب شرط ماض)، وقد ورد هذا التركيب ثلاث مرات.

٢)(فعل شرط ماض + جواب شرط مضارع)، وقد ورد هذا التركيب ثلاث مرات أيضا.

ونستشف العدول الذي طرأ على أغلب مساحة الشرط في السورة من خلال إتحاد فعلي الشرط بصيغة الماضي التي هي ليست بالصيغة الأصلية للشرط -ذو الفعلين المضارعين. ، وإن التزام مساحة واسعة من الشرط بأفعال ماضية يسحبنا - كما نرى - إلى أن أفعال الله تعالى ليست كأفعال البشر لأن أفعال البشر نسبية الحدوث ليس هذا حسب بل هي نسبية حتى في مقدار حدوثها أيضا، أما أفعال الله فهي واجبة الحدوث لامحالة، وبحذافير الحالة نفسها لهذا فالمستقبل عند الله - وهو دلالة الشرط التقليدية - واقع تماما مهما تبدلت الظروف، أو تدهورت الأحوال، لهذا فنية الله كافية لا لإحداث الحدث، وإنما لتحوله إلى ماض، وهو لم يحدث في عالمنا بعد، والآيات الكريمات اللواتي احتضن هذا النوع من الشرط في السورة هي:

- قوله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[المطففين: ١٣].
- و قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ**﴾[المطففين: ٣١].
- و قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ**﴾[المطففين: ٣٢].

عندما ندقق في الآيات السابقات نجد أنها جميعا دارت حول الطرف السلبي في السورة - المطففون-، وعرضت مواقف مختلفة لهم بين تكذيب آيات الله، وبين التكبر وتصغير الآخرين، وبين إتهام الأبرار بالضلال والعكس صحيح طبعا، فالشرط هنا

تحول من تركيب نحوي مجرد إلى أداة لكشف صورة المطففين، وضلالهم البعيد، لذا كان الشرط وجوابه الذي تعهده الفعل الماضي – في النصوص السابقة – منظومة تأكيد على أن ضلال المطففين لا ينتهي أبدا وتحول إلى تراث لهم، وشفرة على شخصيتهم.

أما الآيات التي احتضنت التركيب الثاني من الشرط – فعل شرط ماض + جواب شرط مضارع –، فهي: – قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ**﴾ [المطففين: ٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[المطففين: ٣]، وقال أيضا: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾[المطففين: ٣٠]، وهنا بزع المطففون مرة ثانية ليؤكد رب العزة أن إغواءهم موجود دائما. ويجب مكافحته؛ أمّا مجيء الشريط ماضيا – ففي رأينا – دلالة على نية العمل السيء لديهم، وتطورها سوءا في نفوسهم، وضمائرهم، في الوقت الذي كان الجواب مضارعا، ولعل السر في ذلك أن الغش عند المطففين ليس واحدا، كما انه ليس ثابتا وإنما هو متطور متجدد.

فضلا عن أن جواب الشرط المضارع – لم يأت أصليا وإنما كان مزيدا. ف (يستوفون) ماضيه (استوفى)، وهو غير(وفى) بمعنى: عَادَلَ، والفعل (يخسرون) – بضم الياء – ماضيه (أخسر)، وهو غير (خسر) و(يتغامزون) ماضيه (غامز)، وهو غير (غمز)، بمعنى أن فعل المطلقين تجاه الأبرار مختلف باختلاف صبر الطرف الآخر، وكثرة تحملهم للأذى.

«المبحث الثالث»

الأنساق الدلالية المضمرة في المستوى الصرفي

يشكل النسق الصرفي في سورة المطففين دلالات متعددة، ظاهرة ومضمرة، يمكن تتبع ورودها في السورة من خلال إيراد الأوزان الصرفية للمفردات وإظهار دلالتها، وعلاقة هذه الدلالة بالسورة نفسها، وحينما جردنا أنواع الأوزان الصرفية التي دخلت في سورة المطففين. وجدناها ستا وعشرين وزنا:

١) الأوزان المزيدة: وقد بلغ عددها عشرين وزنا، ولعل زيادة الوزن المزيد على المجرد – في رأينا – يقف خلفه كثرة احتمال نص السورة من دلالات، وصور لا على مستوى السورة والتركيب فحسب، بل على مستوى المفردة الواحدة أيضا مما يدل على وجود وحدة موضوعية بين المفردة والتركيب من جهة، والسورة من جهة أخرى، وأبرز الأوزان المزيدة هي: (أفعَل) و(اسم الفاعل)، و(اسم المفعول) حيث ورد كلا من هذه الأوزان سبع مرات في السورة.

❖ **أفعَل**: يفيد هذا الوزن (التعدية)، بمعنى أن الهمزة بإضافتها إلى الفعل الأصلي إن كان لازما تجعله متعديا، وإن كان متعديا بواحد يصير متعديا باثنين، وإن كان متعديا باثنين يصير متعديا بثلاثة، وبهذا فسيادة هذا الوزن في السورة يوسع من دلالاتها الظاهرة، والخفية ويشضي كل ذلك إلى حقول دلالية عميقة.

❖ **اسم الفاعل**: يدل هذا الوزن على من قام بالفعل بصفته الشخصية، وهذه الصفة ركزت عليها السورة كما ركز عليها القرآن والإسلام، إذ إنّ الثواب والعقاب مرتبط بالعمل الذي هو أصلا كناية عن صاحبه، وقد حقق ذلك ثنائية (المطففين) – حيث إن هذا اللفظ اساس اسم فاعل، و(الأبرار) – جمع بار، وهو اسم فاعل أيضا.

❖ **اسم المفعول**: وهذا الوزن يدل بشكل مباشر على نتيجة الفعل ومن قام به، وهنا يظهر التركيز على الفعل نفسه الذي يقوم عليه اسم الفاعل، والذي ظهر كثيرا في السورة، وبذلك نرى أن الأوزان الثلاثة السابقة ارتبطت بجانب عمل الشخص وكيف نشط هذا العمل في السورة من خلال أفعال (المطففين)، و(الأبرار).

٢) الأوزان المجردة: وقد بلغ عددها ستة أوزان، كان أبرزها: (فَعْل): وقد ورد هذا الوزن في السورة خمسا وعشرين مرة، وهو من أوزان الصفة المشبهة التي تفيد معنى الشمول، ففي أكثر الألفاظ التي وردت على هذا الوزن شكل الشمول الرافد الأعظم فيها مع أصل معنى الصفة المشبهة التي تفيد الثبوت، وعدم التبدل «د. حسين، ٢٠٠٩، صفحة مادة (الصفة المشبهة)»، وقد تكرر ذكر بعض المفردات التي على هذا الوزن، وأكثرها، كل من: (يوم – ويل – رب) كما في قوله تعالى:

❖ **﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** [المطففين: ٤-٦].

❖ **﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**[المطففين: ١١].

❖ **﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾**[المطففين: ١٥].

❖ **﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾**[المطففين: ١٠].

وهذه الألفاظ – كما يبدو – ترتبط ارتباطا وثيقا بمشهد يوم القيامة.

«المبحث الرابع»

الأنساق الدلالية المضمرة في المستوى الدلالي

تشكل مباحث الدلالة من أهم وسائل الكشف عن أسرار لغة، ووسيلة الوصول إلى المعنى، وتتعلّق هذه الدراسات بالعلاقات الدلالية وبأثر الدلالة في المتلقّي، وأثر المُتلقّي في صياغة الخطاب اللغوي، والكشف عن المَدلولات النفسيّة لها، ويمكن تسليط الضوء على النص لبيان أنساقه المضمرة من خلال المباحث الدلالية وبيان قدرتها على الإشارة إلى المعنى الخفيِّ للنصِّ، وأثر السياق في الوصول إلى ذلك المعنى..

١) الأنساق الدلالية المضمرة للدلالة السياقية:

السياق من الموضوعات المهمة في دراسة النص دراسة حديثة، فهو من القنوات الحديثة التي دخلت إلى النص، ونظرت إليه بمنظار جديد يختلف عن المنظورات التي نظر إليه من خلالها سابقا، فللسياق اثر كبير في تحديد دلالة الكلمة على وجه الدقة وبوساطته تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة، لتفرز دلالات جديدة.

فنظرية التلقي، أو نظرية القراءة، أو الإستقبال كلها حكمت على دلالة النص من خلال قيمه السياقية، وفضاءاته الشاسعة، فالسياق في طبيعته الحكم على دلالة النص من خلال النظر إلى ما قبله وما بعده «متولي، 2015، صفحة مادة (سياق)» -يتحرك في ضوء آراء شخصية تنطلق من رؤى علمية، مشفوعة بالأدلة، والبراهين.

والقرآن الكريم حفل لا بالسياق التقني، وبمستويات شاهقة الدلالة، فحسب بل حقق ما يمكن تسميته بـ(الإعجاز السياقي)، فالسياق له أثر كبير في تحديد المعنى الظاهر والمضمر من خلال القرائن المسوقة داخل النص.

وسورة المطففين هي واحدة من السور القرآنية التي حفل سياقها بالكثير من الدلالات العميقة، والمهمة. ويمكن دراسة سياق سورة المطففين، من خلال، مساحة آيات السورة، وتقاس مساحة وحدة النص بحساب عدد الكلمات الداخلة فيها «متولي، ٢٠١٥، صفحة مادة (مساحة وحدة النص)». وحينما جئنا إلى مساحة آيات سورة المطففين، وجدناها تقع ضمن ثلاثة أنواع من المساحة، وهي:

١) **المساحة الطويلة**: تشكلت المساحة الطويلة لآيات السورة من خلال الآيات التي تألفت من خمس كلمات، والتي بلغ عددها تسع آيات، وهذه الآيات على الترتيب، هي:

١) قال تعالى: ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾[المطففين: ٤].
٢) قال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ**﴾[المطففين: ٨].
٣) قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ**﴾[المطففين: ١١] (٩٣٨).
٤) قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ**﴾[المطففين: ١٦].
٥) قال تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ**﴾[المطففين: ١٩].
٦) قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾[المطففين: ٢٢].
٧) قال تعالى: ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾[المطففين: ٢٤].
٨) قال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ**﴾[المطففين: ٣٠].
٩) قال تعالى: ﴿**وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ**﴾[المطففين: ٣٣].

من الملاحظ أن الآية الأولى إلى الآية الرابعة خاص بـ(المطففين)، ومن الآية الخامسة إلى الآية التاسعة خاص بـ(الأبرار)، وبذلك فغلبة الأبرار على المطففين في عدد تلكم الآيات إنما يعطي دلالة كون السياق النصي للسورة يرتبط بالأبرار أكثر من المطففين، ولهذا فشفرة السياق هي شفرة إيجابية في منظور فلسفة الخطاب الحديث.

وعندما نتأمل السياق في كل مجموعة من مجموعتي المطففين، والأبرار نجد ارتباط الآية الثانية - ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ**﴾[المطففين: ٨] - بما قبلها - ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ**

﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾[المطففين: ٤] – إذ إن (سجين) هو كتاب المطففين يوم القيامة «سمير، ٢٠١٧، صفحة مادة(سجين)» – الذي ذكر دلالة في الآية الأولى –، وترتبط الآية الثانية – ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[المطففين: ٨] – بالآية الثالثة – ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المطففين: ١١] – في أن الآية الثالثة دلالة هي تحصيل حاصل الآية الأولى، والثانية، ومن ثمّ تتحد دلاليا بالآية الرابعة –﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ﴾

[المطففين: ١٦].

أما الآية الخامسة – ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[المطففين: ١٩] – تتاقبل سياقيا مع الآية الخاصة بالمطففين – ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾[المطففين: ٨] – فهي الدفة التي تتحرك من خلالها المنظومة السياقية للأبرار من خلال أن الآية ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين: ١٩]، كي تكون بمثابة الإثبات على بطلان مزاعم المطففين حول النعيم الذي سيناله الأبرار يوم القيامة.

والآية السادسة – ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾[المطففين: ٢٢] – ترتبط بالآية التي سبقتها – ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[المطففين: ١٩] – في أن (عليون) هو صحيفة أعمال الأبرار «سمير، ٢٠١٧، صفحة مادة(عليون)»، ومن ثمّ فالنتيجة الحقيقية لذلك هو النعيم – الذي هو لمطلق الجنة، وليس جنة محددة «سمير، ٢٠١٧، صفحة مادة (نعيم)» –، ويتأكد ذلك سياقيا بالآية السابعة – ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾

[المطففين: ٢٤].

وإذا كانت الآيتان الأخيرتان – ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾[المطففين: ٣٠]، و﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[المطففين: ٣٣] – الأولى خاصة بالمطففين، والثانية بالأبرار، فإن السياق هنا يحكم بأن كلاهما سيكونان في يوم القيامة للأبرار.

٢) **المساحة المتوسطة**: تشكلت هذه المساحة في هذه السورة، من الآيات ذوات الأربع كلمات وهذه الآيات، هي:

❖ قال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾[المطففين: ١٠].
❖ قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾[المطففين: ٢٥].
❖ قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾[المطففين: ٢٧].
❖ قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: ٢٨].

في هذه الآيات كان الرصيد كله إلا آية واحدة- الآية الأولى- خاص بالأبرار كي يظهر السياق مكانة هؤلاء الفائزين يوم القيامة، فيكون الويل الذي سينال المكذبون في الدنيا ليس العذاب فقط، وإنما ما حازه الأبرار من نعيم، وعز، فيكون عذابهم ليس شكليا فقط، وإنما نفسي أيضا.

٣) **المساحة القصيرة**: شغل هذه المساحة آية واحدة في السورة، وهي في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾[المطففين: ١].

ترتبط هذه الآية- وهي الآية الأولى من السورة- إرتباطا كبيرا بعتبة النص الأولى، وهي (العنوان) حيث استمدت كيانها منه لإحتواء الآية على مفردة (المطففين)، كما تتصل هذه الآية إتصالا مباشرا بما بعدها، وهو ما تبقى من السورة.

فإذا كانت الآية السابقة هو وعد بالويل لإصحاب التطفيف، فإن بقية السورة هي تعريف بالمطففين، وإمتيازاتهم السلبية في الدنيا، والآخرة، وإنطلاقا من تقرير قيمة المطففين يبين الله تعالى جزاء من لا يقوم بما قام به المطففون فأدى ذلك إلى ذكر نقيضهم الذي هو (الأبرار).

٢) الأنساق الدلالية المضمرة للوحدة الموضوعية:

المقصود بالوحدة الموضوعية: أن يكون النص مترابطا في موضوعه وبين وحداته دلاليا «متولي، ٢٠١٥، صفحة مادة(الوحدة الموضوعية)». وإذا جئنا إلى سورة المطففين سنجد أن الوحدة الموضوعية ستقلل معنويا من عدد آيات السورة، وكالاتي:

أ) الآية الأولى ترتبط بالثانية، والثالثة؛ كون الآيتين الأخيرتين تعريف للآية الأولى.

ب) معرفة دلالة المطففين يقود إلى الإستفهام حول معرفتهم بيوم القيامة والذي ينتهي بالآية السادسة من السورة.

ج) ثمة حذف قد يدل على استبعاد جهل المطففين بيوم القيامة – والذي يقدر قبل الآية السابعة، والله أعلم – وإنما يقين وهمي منهم بأنهم فائزون حيث أنهم أصحاب السلطة في الدنيا مما أدى ذلك بدوره إلى عرض السورة جزاءهم يوم القيامة والذي بدأ بالآية السابعة وانتهى بالآية التاسعة.

د) ثمة حذف محصور بين الآية التاسعة، والعاشرة يقدر والله أعلم في أن السورة عدت المطففين من المكذبين من خلال كونهم يغشون الناس في البيع من جهة، ويكذبون أولياء الله إذ يدعونهم للهدى فقاد ذلك إلى ذكر مرتبة المكذبين الذين اشتركوا المطففين بالكذب فتعادلوا في العذاب في أن لهم الويل – مع العلم أن من المفسرين من عد الويل هنا – في الآية العاشرة – نوع من أنواع النيران يوم القيامة خاصة بالمكذبين (والعياذ بالله) «سمير، ٢٠١٧، صفحة مادة (ويل)»، مع العلم أن المكذبين يعذبون بنار أخرى وهي الجحيم التي ورد ذكرها في السورة في الآية السادسة عشرة، ثم استمر النص يسرد حال المكذبين من الآية العاشرة إلى الآية السابعة عشرة.

ه) هنالك حذف أيضا محصور بين الآية السابعة عشرة، والثامنة عشرة والله اعلم إذ يظن المطففون، والكاذبون أن الأبرار في النار أيضا، أو أنهم قد رافت عنهم الأبصار، لذا تأتي الآية الثامنة عشرة لتبين صحيفة أعمال لأبرار في أنها مشرقة جدا، وأنهم مقربون من الله، وأن مثواهم الجنة.

و) من الآية التاسعة والعشرين إلى نهاية السورة – نهاية الآية السادسة والثلاثين – جمعت السورة بين إعتقاد المطففين حول يوم القيامة السلبي، وبين إعتقاد

الأبرار به الإيجابي فانقلب السلب على المطففين، ونال الأبرار الإيجاب كله في يوم القيامة.

لقد اختصرت الوحدة الموضوعية جوهريا السورة من ستٍّ وثلاثين آية إلى ستِّ آيات فقط نتيجة الإتحاد الموضوعي القوي بين آيات السورة.

الخاتمة

في ختام هذا البحث يمكن لنا أن نتلمس أنساقا دلالية مضمرة في سورة المطففين، التي تمثلث بمستويات اللغة المختلفة منها:

- ❖ صوّر حرف النون من خلال موسيقاه الهادئة الطقس الدلالي للسورة من خلال جمعه للمواقف السيئة التي حملها المطففون، والمواقف الإيجابية التي حملها الأبرار.
- ❖ ظهرت الشدّة الموجّهة إلى المطففين ممتزجة بصوت اللام الشديد، لأثبات بطلان معتقداتهم وفعلهم السيء، على خلاف مايحصل عليه الأبرار في خاتمتهم.
- ❖ حقق التكرار كلّ أسبابه المعروفة في هذه السورة من تأكيد إلى تركيز، إلى زيادة الفهم.
- ❖ أظهر اللفظ المكرر صورا مرئية حيّة في كلٍّ من: (يتنافس) و(المتنافسون) ليشكل التكرار صورة السباق بين الحقيقة – الأبرار، والوهم- المطففين.
- ❖ بدت مفردة (الذين) التي تكررت في الآية الثانية سيمياء إشاريّة لمن هو أحقّ بالخلود القيمي من غيره: (المطففين) أم (الأبرار).
- ❖ الفاصلة في السورة تميّزت صوتيا، كونها ارتبطت دلاليا وموضوعيا مع صوت السورة كلها.
- ❖ أبرزت فاصلة السورة التركيب الاسمي متفوقا على التركيب الفعلي؛ مما يدل على أن قيّم السورة ثابتة في كل زمان ومكان.
- ❖ تقدّمت أوزان الصرف المزيدة على المجرّدة في السورة؛ مما يدلّ على سعة دلالة الفضاء الصرفي فيها.

المصادر

- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (٢٠٠٠). سر صناعة الإعراب (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- الزجاجي، أبو القاسم. (١٩٨٦). الإيضاح في علل النحو (المجلد ط٥). (د. مازن المبارك، المحرر) دار النفائس.
- المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم. (١٩٩٢). الجنى الداني في حروف المعاني (المجلد ط١). لبنان، لبنان: دار الكتب العلمية.
- بدوي، أحمد بدوي. (٢٠٠٥). من بلاغة القرآن. القاهرة، مصر: نهضة مصر.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (١٩٨٠). العين (المجلد ط٣). (مهدي المخزومي-و إبراهيم السامرائي، المحرر) الكويت، الكويت: مطابع الرسالة.
- حسني، أيمن. (١٩٩١). الصوت القرآني (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار التراث.
- السيوطي، جلال الدين. (١٩٨٥). الأشباه والنظائر في النحو. (عبدالعال سالم مكرم، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- حامد، جلال د. (٢٠٠٨). التكرار في سورة الرحمن (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار الغد.
- نوتي، جيرار د. (١٩٩٩). الحرف نص مصغر. (د. ورود حامد، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الفكر.
- عبد الرحيم، حسام محمد. (٢٠١٩). أثر حروف المعاني في توجيه المعنى. مجلة الآداب والعلوم الإنسانية.
- هاشم، منال محمد. (٢٠١٠). أصوات الحركات العربية: دراسة دلالية جمالية. المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، صفحة المجلد ٦ العدد٣.

- عبد التواب، رمضان. (١٩٩٧). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (المجلد ط٣). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- متولي، عبدالسميع. (٢٠١٥). معجم المصطلحات النقدية الحديثة. دار التثقيف.
- لاشين، عبدالفتاح. (١٩٧٧). المعاني في ضوء أساليب القرآن (المجلد ط٢). القاهرة، مصر: دار المعارف بمصر.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف. (١٩٨٥). مغني اللبيب (المجلد ط٦). (د.مازن المبارك، المحرر) دمشق، سوريا: دار الفكر.
- ابن هشام، عبدالله بن يوسف. (٢٠٠١). شرح شذور الذهب (المجلد ط١). (محمد محي الدين عبد الحميد، المحرر) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- حسني، علام. (٢٠٠٩). الخطاب الصوتي في سورة الأعراف (المجلد ط١). القاهرة، مصر: دار السفير.
- حسين، عماد. (٢٠٠٩). معجم الصرف العربي (المجلد ط١). روما: دار النوبل.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (١٩٨٨). الكتاب (المجلد ط٣). (عبدالسلام محمد هارون، المحرر) القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.
- عبد الباقي، فؤاد محمد. (٢٠٠٢). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (المجلد ط١). القاهرة، مصر: دار الحديث.
- العبيدي، مجيد مطشر. (١٩٩٣). الألفاظ الاسلامية وتطور دلالاتها إلى نهاية القرن الثالث الهجري. بغداد: جامعة بغداد.
- ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية.
- الطبري، محمد بن جرير. (٢٠٠١م). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (المجلد ط١). (د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، المحرر) القاهرة، مصر: دار هجر للطباعة والنشر.
- سمير، مدحت. (٢٠١٧). المعجم الدلالي للقرآن الكريم. دار الفكر الإسلامي.

❖ ابن يعيش، موفق ابن علي. (٢٠٠١). شرح المفصل (المجلد ط١). (إميل بديع يعقوب، المحرر) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
❖ سليم، هاتف. (١٩٧٧). الفكر اللغوي في النص الابداعي (المجلد ط١). بيروت، لبنان: دار الثقافة.